

## الحكام العلماء بالمغرب الأوسط و مآثرهم العلمية

### Scholars rulers in the Middle Maghreb and their scientific exploits

ملیكة حمیدی<sup>1\*</sup>

<sup>1</sup> جامعة علي لونيبي البليدة 2 (الجزائر)، hamidi.malika16@yahoo.fr

<sup>1</sup> Hamidi Malika

<sup>1</sup> Blida 2 University (Algeria)

تاريخ النشر: 2023/01/25

تاريخ القبول: 2022/11/13

تاريخ الاستلام: 2021/07/31

#### ملخص:

تعاقب على حكم بلاد المغرب الأوسط عددا من الحكام عبر تاريخه في العصر الوسيط وكل منهم تميز بسيرة أو إنجاز خلده التاريخ؛ وعلى ضوء المصادر التاريخية نستشف من سيرهم مدى حنكتهم السياسية والعسكرية... لكن قلما وجدنا حاكما جمع بين خصال عدة أهلته أن يكون حاكما سياسيا و قائدا عسكريا ومسيرا راشدا وعالما فذا وأديبا شاعرا بارعا أرسى قواعد نهضة علمية لاتزال ثمارها نافعة لحد الساعة. و يضاف إلى ذلك مآثرهم العمرانية وإنجازهم الحواضر العلمية المستقطبة لطلبة العلم والعلماء ومن أهمها حاضرتي "بجاية" و"تلمسان" المائلتان لحد الآن تشهدا لمؤسسهما وحكامهما على شغفهم وتشجيعهم للعلم والعلماء، رغم انشغالاتهم ومعاناتهم من أزمات سياسية و اقتصادية.

ولذا تهدف هذه الدراسة إلى إثبات أن الأزمات لم تقف عائقا للمجتمع أمام همة وإرادة وطموح حكام علماء أنجبتهم بلاد المغرب الأوسط - الجزائر حاليا-؛ ولذا نتقي نماذج منهم من دولة بني الزيان والتمتلة في شخصية" يغمراسن بن زيان" و"أبي حمو موسى الثاني" السلطان العالم الأديب اعترافا بمآثرهم العلمية والفكرية والعمرانية.

الكلمات المفتاحية: المغرب الأوسط، تلمسان، يغمراسن، أبو حمو موسى الثاني، العلوم.

#### Abstract:

A number of rulers in the Middle Ages ruled the Middle Maghreb throughout its history, and each of them was distinguished by a biography or achievement immortalized by history. In the light of the historical sources, we can discern from their biography the extent of their political and military sophistication ... but we rarely found a ruler who combined several qualities that qualified him to be a political ruler, a military leader, a wise path, an outstanding scholar, a writer and a brilliant poet who laid the foundations of a scientific renaissance whose fruits are still beneficial to the extent the hour. In addition to this, their urban exploits and their achievement in the scientific metropolis that attract students and scholars, the most important of which are the two metropolises of "Bejaia" and "Tlemcen", which are present so far, testify to their founder and rulers of their passion and encouragement for science and scientists, despite their preoccupations and suffering from political and economic crises.

\* ملیكة حمیدی.

Therefore, this study aims to prove that crises did not stand in the way of society in front of the determination, will and ambition of rulers of scholars who were born in the countries of the Middle Maghreb - Algeria now -; Therefore, we select examples of them from the state of Bani al-Zayan, which is represented by the personality of "Yaghrasin bin Zayan" and "Abu Hamu Musa II," the sultan, the scholar and writer, in recognition of their scientific, intellectual and urban exploits.

**Keywords:** Central Maghreb, Tlemcen, Ighmrassen, Abu Hammou Musa II, the sciences

## 1- مقدمة:

شهد المغرب الأوسط في العصر الوسيط قيام دول سياسية محلية مستقلة عن السلطة المركزية بالشرق. كان لهذه الدول أثر جلي في النهوض بصرح الحضارة الإسلامية ببلاد المغرب الإسلامي، حيث عرفت نهضة علمية وتطور حضاري في جميع المجالات، ومن بين هذه الدول الراعية للعلم والعلماء، الدولة الرستمية والحمادية والزيانية اللاتي بلغت ازدهار علمي، واعتبرت حواضره تيهرت وبجاية وتلمسان مراكز جذب للعلماء منافسة بذلك الحواضر الإسلامية. ونحاول على ضوء المصادر التاريخية التعرف على الحياة الفكرية مع إبراز الإنجازات العلمية من خلال جهود حكام الدولة الزيانية الذين كان لهم الفضل في إرساء دعائم نهضة علمية للمغرب الأوسط - الجزائر حالياً - كيف تمكنوا تحدي الظروف الحياتية الصعبة من سياسية وعسكرية وضائقة مالية وأوبئة وجوائح طبيعية.

## 2- منهج الدراسة:.

اتبعتنا في هذه الدراسة المنهج التاريخي الوصفي والاستقرائي إضافة للمنهج المقارن للمقارنة بين الأسباب والعوامل المؤثرة في جهود حكام الدولتين و مآثرهم العلمية ضمن طرح إشكالية بحث تتمحور حول التعريف بشخصيات حكام الجزائر العلماء متبعين الخطة الآتية:

- لمحة تاريخية للدولة الزيانية
- التعريف بحكام رواد النهضة العلمية يغمراسن بن زيان و أبو حمو موسى الثاني
- الإنجازات العلمية و أثرها على المجتمع:
- مشاهير العلماء في عهد أبي حمو موسى الثاني
- النتائج

رغم الظروف السياسية والعسكرية الصعبة والمتشابهة لدول المغرب الإسلامي فإن الحكام الزيانيين بذلوا جهوداً معتبرة تركوا بصماتهم في الحياة الفكرية لحاضرة تلمسان الزيانية؛ ولا تزال كثير من المؤلفات العلمية سواء المخطوطة أو المطبوعة منها، مصادر أصيلة للباحثين في مختلف العلوم؛ و من أبرز

نماذج الحكام رعاية للعلم و العلماء و المتعلمين، السلطان الزياني العالم و الأديب أبو حمو موسى الثاني الذي لا يزال مؤلفه " واسطة السلوك في سياسة الملوك " يستقطب الدارسين و الباحثين .

### 3- لحة تاريخية للدولة الزيانية

اتخذ بنو زيان مدينة تجمرات- تلمسان- مركزا لسلطانهم منذ أن كانوا ولاية عليها من طرف الموحدين وذلك بعد تعيين الخليفة الموحد ليغمر سن بن زيان عاملا على تلمسان وبلاد زناتة سنة 624هـ/1228م فاستطاع هذا السلطان أن يعلن استقلاله وبدأت دولة بني عبد الوادي تشكل قوة يعتد به في المغرب و أصبحت تطمح إلى الاستيلاء على المغرب الأوسط و على الناحية الشرقية من المغرب الأقصى مما يلي نهر ملوية. (خلدون ع.، 1421هـ/2000، ص97، 98) (الدراجي، ج 1، 2003، ص142، 145) و تجلت سياسة يغمراسن المتمثلة في تحقيق أهدافه السياسية التوسعية، فخاض الكثير من الحروب ضد بني مرين و أحلافهم من العرب غربا و ضد بني توجي و أولاد منديل و بني حفص شرقا. و أرسى قواعد الدولة باستقلال مؤسسها أبو يحيى يغمراسن بن زيان 633هـ-1226م بتلمسان حيث جعل الحكم وراثيا في أبنائه ساعيا للحفاظ على استقرار الأمن في المجال السياسي لدولته و تمتين علاقاته مع بني حفص شرقا و التصدي لهجمات بني مرين غربا في خضم صراع مرير و تنافس شديد على الحكم. (عبد الرحمان بن خلدون المصدر السابق، ج 7 ص109، 106؛ ابن الأحمر، الدولة الزيانية ص، 26، 27، 39، 41) أما في عهد السلطان أبي زيان محمد، شهدت تلمسان فترة من الاستقرار، تخللها بعض الاضطراب واستمر الاستقرار طول مدة حكمه إلى أن توفي، (ت 707هـ) ثم تولى الحكم السلطان أبو حمو موسى الأول. فرض الحصار ثانية من طرف السلطان المريني أبو الحسن هازما جيش أبا تاشفين الزياني في سنة 737هـ سيطر المرينيون على تلمسان عاصمة الزيانيين و قتلوا ملكهم أبا تاشفين الأول و أولاده جميعا ووزيره، لكن لم يدم استقراره بها طويلا، إذ سرعان ما نصب السلطان أبا سعيد و أبا ثابت على تلمسان. (ابن الأحمر، الدولة الزيانية، ص 29، 30، 150، 151)

وبعد وفاة السلطان أبو الحسن المريني سنة 752هـ/1351م- (ولد 697هـ/1297م) حكم مدة 20 سنة (1331-1351م) - خلفه نجله أبو عنان على عرش بني مرين، و بمجرد جلوسه على عرشه نهض إلى غزو تلمسان من جديد. فبرز لمقاومته أبي سعيد عثمان الزياني، إلا انه انهزم في معركته واستطاع أبو عنان المريني أن يحتل تلمسان مرة أخرى 753هـ / 1352م و امتدت سيطرته على كامل المغرب الإسلامي لمدة وجيزة.

تمكن السلطان الزياني أبو حمو موسى الثاني من اعتلاء عرش أجداده 760-791هـ=1359- ويعتد بمثابة الباعث الجديد لروح الدولة الزيانية، فانتظمت أحوالها، و تحسن اقتصاد تجارتها و طال عهده لمدة 31 سنة، (ابن خلدون، تاريخه، ج 7، ص132) و استمرت مكانة الدولة حتى القرن السادس عشر الميلادي ثم دخلت فترة تدهور و تقهقر حيث أصبحت محل صراع بين السعديين و الأسبان و الأتراك، الذين قضوا عليها نهائيا عام 751هـ / 1550 (ابن الأحمر، الدولة الزيانية، ص 30-35).

## 4- حکام بنی زیان رواد النهضة العلمية

مما سبق ذكره عن الأوضاع السياسية ربما يتبادر لنا أن الحالة العلمية والفكرية قد أخذت نفس المنحى الحرج ، ولكن من المفارقات ومن غرائب مجريات الأحداث أن الحركة العلمية في تلمسان كانت عكس ذلك ، ولذا نتساءل من أهم الحكام ذوي العناية بالحياة العلمية والفكرية ؟

## 1.4- أبو يحيى يغمراسن بن زيان

مرت الدولة بثلاث أطوار رئيسية شهدت فيها اهتمام حكامها بالعلم و مؤسساته وظهر عدد هائل من العلماء الذين تركوا تراثا علميا كبيرا توارثته الأجيال، وبقي تأثيره على الحركة العلمية في الجزائر وخارجها طيلة قرون متتالية من نماذج حكامها أبو يحيى يغمراسن بن زيان بن محمد بن زكار بن بندوس بن طاع الله بن علي بن القاسم بن عبد الواد، فأول ما استقر الحكم ليغمراسن و أكثر ماله غير اسم المدينة القديم من تاجررات إلى تلمسان و تفنن في بنائها (الأحمر، تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، تقديم وتحقيق وتعليق، هاني سلامة، 1421هـ/2000، ص 38، 39) و يعد السلطان يغمراسن أول من دشن تشجيع الحركة الفكرية و التعليمية بتلمسان و رغب رجال العلم في القدوم إلى عاصمته ، و أغدق عليهم الأموال و الهدايا و الجريات و أعلى منزلتهم و شجعهم على التدريس و التأليف. و بهذا السلوك تجاه العلماء تميز عصره بحياة فكرية خصبة خاصة فيما يتعلق بعلوم الدين و اللغة و الأدب. و ذكر أنه كان يحضر بنفسه إلى المسجد لسماع الدروس التي يلقيها الشيوخ و العلماء على الطلبة لا سيما دروس الشيخ العالم أبو إسحاق إبراهيم بن يخلف التنسي ت 680هـ/1306م كبير علماء زمانه و أخوه أبو الحسن ت 706هـ (التنسي ، المصدر السابق، ص 125،126،127 ، العبدري محمد البلنسي: الرحلة المغربية، 2007، ص 31) .

## 2.4- أبو حمو موسى الأول ( 665 هـ / 1267م)

جعل أبو حمو موسى الأول من مدينة تلمسان منارة للعلم يقصدها العلماء وأهل الفكر والطلاب منهم الفقيهين النحويين ابني الإمام و هما العالمين " أبي زيد عبد الرحمان و أخيه أبي موسى عيسى (ابن مريم، البستان في ذكر العلماء و الاولياء بتلمسان تق بوباوية عبد القادر، 1432هـ/2011م، ص 222 ، 228)؛ و أكرمهما و بنا لكل واحد منهما مدرسة وهي المدرسة الأولى التي شيدت في عهده بتلمسان واختصهما بالفتوى والشورى وكان كثير الجلوس إليهما والاستماع إلي نصائحهما ووفد عليه بتلمسان الفقيه العالم المتفنن أبو موسى عمر المشدالي أعرف أهل عصره بمذهب مالك فأكرم نزله وولاه التدريس بمدرسته الجديدة التي وفد عليها الفقيه العالم أبو العباس بن عمران الفاسي البجائي وحضر مجلسها ( التنسي، المصدر السابق، ص 139، حاجيات :أبو موسى حمو الثاني، ص36، فيلالي عبد العزيز، المرجع السابق، ص322).

### 3.4- أبو حمو موسى الثاني الحاكم الأديب (723هـ- 791/1321م- 1389م)

رغم كثرة الفتن و الاضطرابات فإن سوق الثقافة الإسلامية بقيت رائجة نافقة بفضل عناية حاكمها أبو حمو موسى الثاني الذي اعتنى بالجانب الفكري و العلمي عناية منقطعة النظير .

#### 1.3.4- المؤثرات في شخصية أبي حمو موسى الثاني:-( 723هـ- 791/1321م- 1389م) .

ولد أبو حمو بمدينة غرناطة بالأندلس سنة 723هـ/1321م . (، عبد الرحمان بن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ج7 ص149 ؛ التنسي ، نظم الدر و العقيان في بيان شرف بني زيان، ص157) و كان أبوه مبعدا إليها منذ 718هـ/ 1318 م و في نفس السنة عاد به والده إلى تلمسان بدعوة من عمه أبي تاشفين الأول ملك بني زيان . (الخطيب ل.، ص125) عان كثيرا من المنفى بحيث تولى الحكم سنة 760هـ/1459م ثم نفي 761هـ/1359، ثم عاد إلى العرش و ظل فيه إلى سنة 773هـ/1371، ثم عزل و عاد إلى العرش سنتي 785هـ/786 و توفي 789هـ/1387م و بعد وفاته تدخل الدولة الدور الأخير من حياتها. (ابن الأحمر ، تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان ، ص 34 )

#### 2.3.4- مميزات أبو حمو موسى الثاني :

وكان طالبا للعلم في صغره معتنيا به في كبره مكرما للعلماء في أيام دولته مجلا لهم. " يقول التنسي في كتابه:" لما استقر المولى أبو حمو من هالة في نصابها، وانتزع دولته من يد غصابها، ساس أهل مملكته بالسيرة الحسنى، وعمر الرعية قسطاس عدله...وله من النثر الرائق، والشعر الفائق، ما ارتفعت صنعته من بلاغة الملوك ومن العلم العقلي والنقلي ما جلا نوره عن الدنيا وبصرامة إقدامه تجلت عن زيد الخيل الكروب، وليوم سلمه خلق الرخا والجود والسخا ومن ذكائه استعير اياس، ومن حلمه كان للأحنف اقتباس" . (التنسي ، المصدر السابق، ص 160، 161) يعد أبو حمو موسى الثاني مجدد الدولة الزيانية و ثالث ملوكها في الدور الثاني - فقد عني بالعلوم عناية خاصة باعتباره يمتاز بالإلمام الواسع بمختلف العلوم و الفنون و لا سيما الأدب والشعر. فتميز بشخصية ذات سمات أندلسية تجلت أثارها في ثقافته و سلوكه و طموحاته . تألق بصفة خاصة كشاعر مفوه و ناثر ممتاز و أديب يجب الأدباء و يميز الشعراء و فيلسوف ألف كتابا في الفكر السياسي، أسماه " واسطة السلوك في سياسة الملوك" و هو عبارة عن نصائح سياسية و أخلاقية و تنظيمية. ((ابن الأحمر، أعلام المغرب و الأندلس هوكتاب تثير الجمان، 1396هـ/ 1976م، ص110، 112))

كانت له مجالس يحضرها كبار العلماء و فحول الشعراء، تناقش فيها قضايا العلم و الفقه و الأدب و السيرة النبوية و كان له فيها رأي محمود و نقد بناء و صفه المقرئ بأنه " يقرض الشعر و يجب أهله" ساهم في تأسيس مكتبة عمومية في تلمسان و جلب لها مختلف الكتب. و أغدق على الكتاب و الفقهاء و الشعراء عطفه و كرمه و انتشر العلم بالمغرب الأوسط في عهده انتشارا لم يعهد له مثيل و نبغ فيه فحول النظر و أجلة العلماء و الكتاب. (المقرئ، ، 1433هـ، 2012م، مج 6، ص515)

## 3.3.4- الإنجازات العمرانية العلمية في عهد أبي حمو موسى الثاني

كان لتأسيس المدارس بتلمسان أيام أبي حمو الأول و ابنه أبي تاشفين، ثم أثناء الاحتلال المريني اثر هام في بعث الحكمة الفكرية و إقبال الكثير من الطلبة على اقتناء العلوم المختلفة من نقلية و عقلية و إتقانها و رعاية سلاطين بني زيان بالمؤسسات العلمية. (حاجيات، أبو موسى حمو الثاني حياته و أثره، ط2، 1982، ص159) و ورث أبو حمو موسى الثاني هذه القاعدة العلمية الراسخة بالحفاظ على مكاسبها و الزيادة في العناية بها و توسيع دائرتها في أوساط المجتمع، و من أهم إنجازاته العلمية نذكر : المدرسة اليعقوبية ومسجد إبراهيم المصمودي:

لم تمر خمس سنوات من حكم السلطان أبو حمو موسى الثاني، حتى قام بتأسيس المجموعة المشتتة على المدرسة اليعقوبية و شرع في التدريس بها يوم 5 صفر سنة 765هـ/1363م، وقدم الشيخ الشريف الحسيني أبي عبد الله (ت: 771هـ/1370م) للتدريس فيها. واعتبرت هذه المدرسة من المدارس المتخصصة في تدريس التفسير والفقہ والحديث في فصل الشتاء، وتدریس الأصول والعربية والبيان والحساب والفرائض والهندسة في فصل الصيف، أما يومي الخميس والجمعة فقد خصص لتدريس التصوف وتصحيح تأليفه (بجي، 2007، ج 2، 136، ) (طمار، المرجع السابق، ص178)، بالإضافة إلى المسجد الذي يحمل اسم العالم إبراهيم المصمودي، وهو يقع في الشمال الشرقي من قصر المشور. و خصص لهذه المجموعة المعمارية عدة أوقاف للإنفاق منها على الأساتذة والمشايخ وطلبة العلم بالإضافة إلى الإمام والمؤذن و أولى عناية كبيرة بالمتصوفة. (علوي، دورية كان التاريخية، ع: 18، ص05، دار ناشري، الكويت 1434هـ- 2012)

و استغرق وقت بنائها أكثر من سنة ونصف، وجعل السلطان أبو حمو موسى الثاني هذه المدرسة ملحقة بزاوية ومقبرة خصصها لرفات ملوك تلمسان وأمرائها من بني زيان فقد اجتمعت العديد من العوامل التي جعلت من المدرسة اليعقوبية مكانا علميا متميزا كما وكيفا، من ذلك كثرة محبوساتها حيث خصصها السلطان أبو حمو موسى الثاني بالأوقاف الجليلة، والجرايات من العقار المتنوع، كما أغدق عليها أموالا كثيرة وأحاطها برعايته و كسى طلبتها كلهم و اطعم الناس، كما حضر مجلس لتفسير القرآن و ختمه . (التنسي، المصدر السابق، ص 180) ( - فيلاي (عبد العزيز): المرجع السابق، ج: 01، ص144). كما اشتهرت أيضا باسم مدرسة سيدي إبراهيم المصمودي نسبة للعالم الجليل الذي دفن بها، وما يتضح لنا من خلال بناء هذه المدرسة هو اهتمام السلطان بالجوانب العلمية، فقد كانت عنايته ببنائها محل تقدير واحترام من طرف الرعية.

ويتبين مما سبق ذكره حرص و اهتمام سلاطين الدولة الزيانية عامة، والسلطان أبو حمو موسى الثاني بالأخص بالحركة العلمية حيث جمع هذا الأخير بين العلم والسلطة، وحضر مجلس إلقاء في المدرسة جالسا على الحصير تواضعا للعلم وإكراما له . وتعد هذه الرعاية العلمية من أهم الدعائم الأساسية التي اعتمد عليها لإنجاح نظامه السياسي وتشريعاته . (عبيد، 1432هـ- 2011م ص، 167):

#### 4.3.4- دور المؤسسات العلمية

تمثلت في المدارس والمساجد والكتاتيب والزوايا وحتى الحلقات العلمية أفرزت له رجالا أكفاء اعتمد عليهم حين عينوا في مناصب السلطة كالوزراء والقضاة والمفتين و أولوا عناية خاصة بالمكتبات.

وكان الأمراء الزيانيون يولون أهل العلم رعاية خاصة ويمنحون الطلبة مما يساعدهم على تحمل أعباء دراستهم فخصصوا لهم الأرزاق والجريات، اهتم سلاطين تلمسان بالمكتبات والمؤسسات العلمية كثيرا . نذكر منها المكتبة التي أنشأها أبو حمو موسى الثاني (760/1359م) بالجامع الكبير التي على يمين المحراب بالمكان الذي لا تزال به الخشبة ذات كتابة محفورة، التي كانت فوق بابها نص وما هو مكتوب عليها هو: "أمر بعمل هذه الخزانة المباركة السلطان أبو حمو بن الأمراء الراشدين أيد الله أمره وأعز نصره ونفعه بما وصلى ونوى وجعله من أهل التقوى وكان الفراغ من كملها يوم الخميس 13 من ذي القعدة عام 760". (شاوش، 2011، ج1، ص 89) حيث كانت مكتبة قيمة تحتوي على عدد كبير من الكتب النفسية التي كان يستفيد منها الطلبة للمطالعة وقت الفراغ من الدراسة، وهذه الخزانة امتدت آثارها إلى القرن التاسع الهجري، بل ربما قد تزداد ضخامة واتساعا مع توالي السنين وازدهار الحياة العلمية، وقد فقدت محتويات تلك المكتبة في عصور لاحقة، وضاع ما كان بها من كنوز. (جلول، مخبر الجزائر والحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، العدد2، جامعة الشلف، 2015، ص159، 160)

#### 5.3.4- مآثر أبو حمو موسى الثاني السلطان العالم و الأديب

إن الظروف التي عاشها أبو حمو ساهمت في تكوين شخصيته و ثقافته؛ ففي طفولته تعلم التدين و حب الدين و حب الله و رسوله الكريم صلى الله عليه و سلم، وعاش معاناة الاغتراب في فاس، و اكتسب من حروبه صفات الشجاعة والحزم و العصامية و من مخالطة الملوك و رجالات السياسة و الفكر تعلم حزم الملوك و الحنكة السياسية و عاطفة الشعراء و رزانة الحكماء. و لما تربع على العرش كانت ليلة المولد النبوي الشريف فأقام لها احتفالا يليق بشرفها. و أهم ما ميز مجلسها هو تعدد الشعراء و إلقاءهم قصائد في مدح الرسول عليه الصلاة و السلام كان يفتح المجلس بقصيدة ملؤها شوق للنبي و طواف بالبيت و التوبة والبكاء على ما اقترفه من ذنوب في الماضي و يقال أنه هو الذي سن هذا الاحتفال في المجتمع التلمساني.. وله أشعار في مدح الرسول صلى الله عليه و سلم (يحيى بن خلدون، بغية الرواد، ج2، ص ص 100، 104؛ التنسي، المصدر السابق ص162)

#### 6.3.4- أبو حمو الشاعر:

كان اهتمامه بالشعر يعد من شيمة ملوك عصره و مماثلا لما اتصف به ملوك بني الأحمر و بني مرين وقتئذ؛ فحسب ما ورد عن الباحث عبد الحميد حاجيات أن ما بقي من شعره يقدر بـ 21 قصيدة (حاجيات، المرجع السابق، ص 295) تحتوي على ما يقرب من ألف بيت تدور حول أغراض مختلفة كالفرح

والحماسة و الرثاء و مدح الرسول صلى الله عليه و سلم. قیلت هذه القصائد في مناسبات خاصة أراد أبو حمو أن يعبر فيها عن عواطفه و بعض المواقف السياسية . (مجهول، زهرة البستان ص 29، 33) أما المولديات فاحتلت مكانة هامة في شعره بنظمه قصيدة بين سنتي 760هـ-771هـ، و هذه أبيات مقتطفة من القصيدة الطويلة في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم

قفا بين أرجاء القباب وبالحي وحي ديارا للحبيب بها حي  
وعرج على نجد وسَّلَع و رامة وسائل فدتك النفس في الحي عن مَيِّ  
و قال أيض

فيا سيدا قد حباه الاله على الخلق طرا بما قد حبا  
و يا من قد سما بقدره رفعة و يا من علا في العلى منصبا  
يخصك موسى بأزكى سلام يروق النفوس كنشر الكبا  
ومسك فتيق و زهر أنيق بروض شريق حوته الربا

(بغية الرواد، ج2، ص139؛ حاجيات، المرجع السابق، ص220)

#### 7.3.4- آثاره العلمية من خلال كتاب واسطة السلوك في سياسة الملوك

صنف أبو حمو موسى كتابا أدبيا ملوكيا لابنه المولى أبي تاشفين ولي عهده سماه: نظم السلوك في سياسة الملوك" (التنسي، المصدر السابق، ص161) و الكتاب معروف أيضا" بواسطة السلوك في سياسة الملوك" افتتح الكتاب بقوله: قال الملك المعظم...أبو حمو موسى بن يوسف بن عبد الرحمان..."

#### الأهمية العلمية للكتاب

يقدم الكتاب للقارئ معلومات هامة حول الأسس الأخلاقية و الاجتماعية و السياسية التي يقوم عليها أي نظام و نذكر منها

يقدم الكتاب للقارئ معلومات هامة حول الأسس الأخلاقية و الاجتماعية و السياسية التي يقوم عليها أي نظام سياسي للبلاد و بالتالي يسعهم في طرح النظرية الإسلامية في الحكم كما عرفها علماء الإسلام في أزهى عصور الدولة الإسلامية و يقدم نموذجا لمفكر سياسي مسلم يجمع بين الخبرة العلمية في ممارسة السلطة مدة-30 سنة-وبين رصيده المعرفي من تجارب من سبقه في هذا المجال.

-الأهمية التاريخية: -يتحدث في الكتاب عن مرحلة تأليفه و ما عاصره المؤلف من أحداث و بالتالي يعد وثيقة تاريخية للأحداث الواقعة آنذاك .



-يقدم معلومات في غاية الأهمية عن كثير من الأحداث التي اطلع عليها أبو حمو موسى الثاني من مصادر تاريخية أو سمعها من معاصره تفيدنا في إزالة بعض اللبس عن بعض الأحداث التاريخية, " يقول عنه التنسي : أتى فيه بالعجب العجاب و ضمه من رائق نظمه ما أزرى بالسحر الحلال". (نظم الدر و العقيان .ص161)

**الأهمية الأدبية:** ضم أبو حمو موسى الثاني كتابه كثير من قصائده الشعرية خصها للحياة الأدبية لتلمسان حيث تذكره المصادر انه كان شاعرا بارعا .فشعره بلغ مستوى راقيا لغة و أسلوبا . فرغم أصوله البربرية إلا أن تمكنه من أصول اللغة العربية و التحكم في أدواتها يدل على الاهتمام بالغ باللغة العربية في عصره. (بوترعة، 2012ص 39). فأبو حمو موسى الثاني رغم انشغاله بالسياسة و الحروب و أهوالها التي لا تكاد تخمد نيرانها إلا انه طغت عليه مواهبه العلمية و الأدبية التي ضمها كتابه الذي ما يزال يشكل مصدرا تاريخية للباحث في تاريخ المغرب الإسلامي، ونستخلص من مؤلفه ما يلي:

- العناية بتربية ولده تربية سياسية و دينية و أدبية، فإنه لم يورثه ولاية عهده فقط إنما دل على أسرار الحكم من خلال تدوين وصياه القيمة في كتابه المعنون بـ"\_\_\_\_\_ " واسطة السلوك في سياسة الملوك "ناصحاً له .بمسك عصا السياسة من الوسط لتفادي الانزلاق قائلاً:

- "يا بني اعمل بوصييتي تنجح و جانب معصيتي تفلح فانك إن عملت بوصييتي رجوت لسلطانك الدوام و لخلافتك سعادة الأيام و الله خليفتي عليك بما دونته إليك" (بوترعه، نفس المصدر، ص 40)

- و في قراءتي للكتاب و إحصاءً للكلمة يا بني استعطافا لولي عهده ، فإنه ردها 201 مرة بعبارة مختلفة مبتدأ نصائحه —: اعلم يا بني...، يا بني... ، انظر يا بني...؛ و ذلك من شدة حرصه على وليّ عهده حين يستلم زمام الحكم أن لا يقع فيما وقع فيه سابقوه في سياسة الحكم . و كذا تمت هذه الوصايا بنحو الأبوة الصادقة لاستخلاف الذرية الصالحة و الخيرة بشؤون السياسة نابعة من تجربته في الحياة. -رغم ان الوضع السياسي في أواخر عهده كان حرجا منذرا بالخطر-

- كان أبو حمو الثاني ذا همة عالية و طموح كبير لم يفتأ يسعى إلى بلوغ مرامه في بسط نفوذه على كل المغرب الأوسط و مقاومة الأخطار التي كانت تهدد الدولة الزيانية. و كان رجل سياسة و تدبير وتعقل و تبصر ، لا يقدم إلا بعد روية و تفكير و لا يتأخر عن بذل الأموال و الإقطاعات لكسب صداقة قبائل الأعراب القوية... و في هذه الظروف المضطربة تمكن أبو حمو الثاني من الحفاظ على العرش أكثر من ثلاثين سنة. بفضل دهائه و حنكه و سعيه الحثيث إلى كسب الأتباع و التحالف مع الأنصار . و كان أبو حمو الثاني رجلا ذكيا عاقلا ، ذا أدب و ثقافة ، مشجع الحركة الفكرية ، و مُكرم للعلماء و الشعراء ، مدحه الشعراء أمثال أبي عبد الله محمد بن يوسف الثغري كاتب السلطان التلمساني أمير المسلمين أبي حمو موسى بن يوسف الزياني ، عرفت بلامية الثغري في مدح أبي حمو و مدحه الشاعر ابن خميس. (يحيى بن خلدون ، بغية الرواد ، ج 2، ص ص 104، 110 ؛ المقرئ، نفع الطيب، ج 7، ص ص 126، 127، 131،

(132) و أحلهم منزلة سامية في بلاطه ، فكان عهده عهد ازدهار علمي وأدبي و تقدم ثقافي. مثلما كان رجل دين و تقوى و حلم و حياء و أخلاق كريمة بارا بولديه محبا لأبنائه معتنيا بتربيتهم و تثقيفهم . وهكذا تميزت تلمسان في عهد أبي حمو الثاني بفضل مدارسها الخمس و مسجدها الأعظم مركزا ثقافيا هاما، و بلد إشعاع علمي يضاهي أهم مراكز المغرب الثقافية، فنبع فيها جيل صالح من العلماء، الذين حملوا مشعل الفكر للأجيال التالية و خلفوا تلاميذ جهابذة ضاع صيتهم في الأقطار. أما وفاة السلطان أبي حمو الثاني سنة 791هـ فحدثت إثر المأساة التي عاشها مع فلذة كبده و ولي عهده أبي تاشفين و تطاحنهما و تناحرهما على السلطة ؛ فلقي السلطان الأب أبو حمو الثاني حتفه في جبال تلمسان بطعنات رماح بعض رعياء المنحازين إلى ابنه بالغاً من عمره 68 سنة. (حاجيات ، المرجع السابق ، ج2 ، ص 154، 155 ، 160)

#### 8.3.4- مشاهير علماء تلمسان في عهد أبي حمو موسى الثاني

ضمت حاضرة تلمسان عددا معتبرا من العلماء منذ عهد يغمراسن سواء التلمسانيين أو الوافدين عليها إلا أننا نختصر على ذكر البعض منهم في عهد أبي حمو موسى الثاني فقط. كان هذا السلطان كثيرا ما يجلس الصلحاء و يكثر من زيارتهم، وله في أهل العلم رغبة عالية يبحث عليهم أين ما كانوا و يستقدمهم إلى بلده و يقابلهم بما هم أهلهم و منهم:

#### ✓ أبو محمد عبد الله بن محمد بن احمد الشريف الحسيني

ولد بتلمسان 748هـ في بيت علم رفيع و جليل تعلم فيها ثم رحل الى فاس حيث تتلمذ على يد كبار مشايخها و اخذ من كل أصناف العلوم النقلية و العقلية و لما رجع إلى تلمسان بدأ التدريس في حياة أبيه ثم خلفه بعد موته في التعليم بالمدرسة اليعقوبية. توفي غريقا في البحر اثر رجوعه من الأندلس سنة 792هـ وهو في عنفوان شبابه . (حاجيات ، المرجع السابق، ج2، ص170) (بوناي، ، 2017 / 1438هـ ، ص 30، 32 .)

و اشتهر الكثير في العلوم اللسانية و الاجتماعية منهم في نظم الشعر لا سيما في المديح النبوي و مدح السلطان و وصف تلمسان و منهم: أبو عبد الله محمد بن البناء التلمساني و أبو عبد الله محمد بن يوسف القيسي الثغري و أبو عبد الله محمد بن أبي ج السلطان و وصف تلمسان و منهم: أبو عبد الله محمد بن البناء التلمساني و أبو عبد الله محمد بن يوسف القيسي الثغري و أبو عبد الله محمد بن أبي جمعة بن علي التالاسي الذي كان طبيب السلطان و شاعرا بارزا (بغية الرواد ج1 ص60-62 ؛ حاجيات ، نفس المرجع ، ج2 ، ص172) (يحي بن خلدون ، المصدر السابق، ج2، ص87، 88)

أما يحي بن خلدون: فهو الشيخ أبو زكرياء يحي ابن أبي بكر محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن خلدون وهو أخو العلامة عبد الرحمان بن خلدون، ولد بتونس سنة 734/1333م ؛ أما علاقته بالزيانيين

كانت في شهر رجب سنة 769هـ حيث التحق يحيى بن خلدون ببلاط أبي حمو موسى الثاني و عين كاتباً للسلطان الزياني و شغل هذا المنصب إلى أن ساءت العلاقات بين الإمرة الزيانية و الدولة المرينية و احتل السلطان عبد العزيز مدينة تلمسان و مكث يحيى بتلمسان مدة من الزمن ثم رحل إلى فاس رفقة أخيه عبد الرحمان و لسان الدين بن الخطيب. (حاجيات ، المرجع السابق، ج2، ص 175، 176)

وفي سنة 776هـ عاد يحيى بن خلدون إلى تلمسان فأرجعه أبو حمو و ولاه خطة كاتب السر و صاحب الإنشاء و كاتب رسائل السلطان ، و ألف يحيى بن خلدون كتاب " بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد " ، ضمه دقائق الأمور مضافاً له معلومات تنظيمية و سياسية و عسكرية و ثقافية و أدبية يعد احد المصادر الأصيلة لتاريخ بني زيان لا يستغني عنه الباحثين في تاريخ بني عبد الواد. و يعد يحيى بن خلدون من طبقة الكتاب المبرزين أمثال أبي القاسم بن رضوان و لسان الدين بن الخطيب...امتاز بثقافة أدبية واسعة مع العلم أن الحياة الأدبية ضمت آنذاك العديد من الأدباء الذين لم يحظوا بالقربى من السلطان رغم نبوغهم الأدبي. (أبو زكريا يحيى بن خلدون، المصدر السابق ج 2، ص 10 ،حاجيات، المرجع السابق، ج2، ص177، 178)

عبد الرحمان بن خلدون: (732-808هـ/1332-1406م): هو ولي الدين عبد الرحمان بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحيم الحضرمي المعروف بابن خلدون، من علماء المالكية ولد في تونس، درس ابن خلدون في أكبر المساجد التي رحل إليها، كجامع القصبية في بجاية، الأزهر في القاهرة، تقلد ابن خلدون بعض المناصب السياسية في فاس وتلمسان وتولى منصب قاضي القضاة في الإسكندرية، دخل في صراع مع أعلام عصره وتعرض للعديد من المحن والنكبات، وعرف عصره أوضاعاً سياسية غير مستقرة وله على غرار كتاب المقدمة والعبير كتاب "رحلة ابن خلدون" وله كتاب في التصوف "شفاء السائل لتهديب المسائل" (كحالة، ، 1993، ج2، ص119-120)

## 5- استنتاج

- عاشت الدولة الزيانية ظروف حرجة فتاريخ بني عبد الواد على طوله تاريخاً عسكرياً كله حروب ومنازعات و مكائد. وقد تدرب أمراؤها على العيش في هذا الجو المضطرب؛ و الملفت للنظر أنه رغم تفاقم الظروف السياسية و العسكرية إلا أن المستوى الثقافي و العلمي لتلمسان الزيانية نافس الحواضر المغربية ، و ربما يرجع ذلك لما يلي
- معظم الحكام الزيانيين كانوا متعلمين و مشجعين للعلم و العلماء و ورثوا الإرث الحضاري للدولة الموحدية بحيث استمر التواصل العلمي بين الدولة الزيانية الأندلس دون انقطاع. كما كان للهجرة الأندلسية أثر بالغ في التطور الحضاري الزياني التي ورثت قسطاً وافراً من الحضارة الأندلسية و نمت من معينها الزاخر و تجلّى ذلك في مختلف المجالات من صناعات و علوم و فنون و عمران.
- التأثير العلمي الأندلسي في تكوين شخصية الحكام مثل أبو حمو موسى الثاني الحاكم الأديب

- كانت حاضرة تلمسان مركز جذب للعلماء نظرا لرعاية الحكام للعلم و العلماء و واصلت إشعاعها العلمي و الحضاري منذ تأسيسها إلى نهاية عهدها و لا يزال اهتمام الدارسين منصب على إحياء تراثها العلمي.
- أفرزت البيئة العلمية تلمسانية العديد من العلماء في مختلف المجالات و ركزنا في هذه الدراسة على علم التاريخ بحكم التخصص فيه و كذا للاستفادة من مصادر الفترة المؤرخة لحكام بني زيان.

## 6- الخاتمة

نخلص على ضوء هذه الدراسة إلى النتائج التالية:

إن حكام المغرب الأوسط عامة كانوا حريصين على إثراء الجانب العلمي و الفكري في دولهم رغم انشغالهم بالظروف الحالكة سياسيا و اقتصاديا و اجتماعيا مثلما عاشته الدول الرستمية و الحمادية و الزيانية. فبجاية الناصرية رغم محيطها السياسي الشائك تألق نجمها الحضاري في عهدي الناصر و المنصور و تعددت مؤسستها العلمية التي كانت في متناول كل أفراد المجتمع .

أما بالنسبة للدولة الزيانية و بدون مبالغة يمكننا القول أن كل حكامها كان لهم السبق في الرعاية العلمية و الفكرية بداية بالمؤسس يغمراسن و من ولاه من الأبناء و الأحفاد. و من هؤلاء الحكام خصصنا بالذكر أبو حمو موسى الثاني لما وصف به من شغف في طلب العلم و تجديد الدولة بعد تقهقرها و واصل إرساء قواعدها و توسيع مجالها السياسي. و أثنى عليه الكثير من العلماء و المؤرخين و الشعراء المعاصرين له أمثال: الفقيه الخطيب الشاعر ذو الوزارتين لسان الدين بن الخطيب و الكاتب الشاعر يحيى بن خلدون و الفقيه الناثر أبو عبد الله بن يوسف الثعري و الفقيه الشاعر محمد بن جمعة الشهير بالتاليسي .

بلغت تلمسان أوج ازدهارها في عهد السلطان أبي حمو موسى الثاني لمدة 30 سنة بإنجازاته للمؤسسات العلمية و الاجتماعية و حنكته السياسية، أضف إلى ذلك ما بقي من مآثره العلمية و نبوغه اللغوي. فهو الحاكم المفكر السياسي و الأديب الشاعر الفذ. و معظم المصادر التاريخية المعتمدة ترجع إلى عهده و تحتفظ بعضها أشعاره و ذكر مآثره، و قلما نجد حاكما سياسيا و عسكريا و مفكرا و أديبا جزائري ترك للأجيال مؤلفا قيما لسياسة الحكم في تاريخ الإسلام سماه " واسطة السلوك في سياسة الملوك " شاهدا عليه و على مآثره و لم تثبط عزيمته و طموحه الأوضاع السياسية و العسكرية الحرجة الذي ذهب ضحيتها، والأهم من ذلك لا يزال كتابه القيم ليومنا هذا و يعد وثيقة تاريخية هامة في تاريخ المغرب الإسلامي.

## 7- المراجع

- 1 ابن الأحمر، أعلام المغرب و الأندلس هوكتاب نشر الجمان. (1396هـ/ 1976م)

- 2 تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، تقديم و تحقيق و تعليق، هاني سلامة. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، 1421هـ/ 2000
- 3 ابن الخطيب لسان الدين. ، الإحاطة في أخبار غرناطة ، مج 3، تحقيق عبد الله عنان، القاهرة ، مكتبة الخانجي 1975،
- 4 بوترة. محمود. . الملك ابو حمو موسى الثاني الزياني ، واسطة السلوك في معرفة الملوك ) ، (723-791هـ/ 1321-1389م) . الجزائر ، بيج الكيفان: دار الشيماء للنشر و التوزيع، النقاوس، و دار النعمان للطباعة و النشر، الجزائر ، 2012؛
- 5 بوداود عبيد. الوقف في المغرب الاسلامي ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين ودوره في الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، ط01، الجزائر، 1432هـ-2011م ص، 167. الجزائر: مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، 1432هـ-2011م
- 6 بوناوي. طاهر المكانة العلمية لبيت أبي عد الله الشريف التلمساني في الغرب الإسلامي من خلال مخطوط مجموع فيه مناقب سيدي أبي يحيى عبد الرحمان" لأحمد بن أبي يحيى عبد الرحمان -ت 895هـ. تلمسان: المتحف العمومي الوطني للفن و التاريخ، . 1438 / 2017هـ
- 7 التنسي ، ( محمد بن عبد الله ) : تاريخ بني زيان ملوك تلمسان ، مقتطف من نظم الدر و العقيان في بيان شرف بني زيان ، تح محمود أغا بوعياذ ، المؤسسة موفم للنشر ، 2011
8. حاجيات عبد الحميد. (، أبو موسى حمو الثاني حياته و أثره، ط2، حاجيات عبد الحميد ، أبو موسى حمو الثاني حياته و أثره. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ،. 1982.
- 9 عبد الرحمان بن خلدون، تاريخ ابن خلدون. ( ديوان المبتدأ و الخبر... ) ج7، . بيروت : دار الفكر. (1421هـ/ 2000 ، 98).
- 10 ابن خلدون يحيي. ابو زكرياء يحيي بن خلدون ، بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الود ، تق بوزيان دراجي . الجزائر : دار الأمل للدراسات و النشر و التوزيع، ج2، 2007.
- 11 الدراجي بوزياني ، القبائل الأمازيغية - أدوارها و أعيانها ، ج1،. الجزائر: دار الكتاب العربي، 2003
- 12 شاوش.. الحاج محمد بن رمضان شاوش، باقة السوسان في التعريف بحضارة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، ج1،. ديوان المطبوعات الجامعية، : الجزائر. 2011،
- 13 العبدري محمد البلنسي: الرحلة المغربية، الجزائر: مؤسسة بونة للبحوث والدراسات، 2007 .

14 علوی. مصطفی : الحیاة الثقافیة فی المغرب الأوسط مصطفی من خلال کتابات الرحالة والجغرافیین المغاربة خلال القرنین 9/7هـ ، (دیسمبر/محرم، دوریة كان التاریخیة، ع:18، س:05، دار ناشری، الكویت 1434هـ - 2012

15 ابن مریم، البستان فی ذكر العلماء و الاولیاء بتلمسان تق بویابة عبد القادر، الجزائر: مكتبة الرشاد للطاعة و النشر و التوزیع،. (1432هـ/2011م،

16المقری أحمد التلمسانی، نفع الطیب فی غصن الأندلس الرطیب. مج6، بیروت: دار صادر. (، 1433هـ، 2012م،

17 كحالة عمر رضا.: معجم المؤلفین، ج2. ، بیروت، مؤسسة الرسالة،، 1993

18 نویهض عادل ، معجم أعلام الجزائر. الجزائر: مؤسسة نویهض الثقافیة للتألیف و الترجمة و النشر

19هادی جلول. ( دور المكتبات فی نشر العلوم فی تلمسان فی العهد الزیانی (، مخبر الجزائر والحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط ، . ، المجلة الجزائریة للبحوث. والدراسات التاریخیة المتوسطة ، العدد2 ، جامعة الشلف ، 2015